هزيمة آخرى

غالبا ماتموء القطط فى ليل قريتنا.

إذا إجتمعت القطط الغريبة تتشاجر فتفزع العصافير الهاجعة على أغصان الأشجارفى الشوارع..

كل يوم يحدث ذلك المشهد فيفزعنى عراكهم وخوف العصافير وفرارهم..

أفتح شباك غُرفتى وأُحاول ..أُحاول أن أجمع كل كلاب الحى الشجعان كى أتخلص من القطط وعويل القطط.

أتحسس جسد أمى كى أتاكد من نبض حياتها وهى نائمة تحت الغطاء كملاك أبيض سمين..ذلك الوجة المدور كالقمر المشوب بالحمرة. إبتسامتها الحلوة.

كانت تجمع نساء القرية.تمسح دموعهن بكفها المخضب بالحناء. تهدهد أطفالهم تطبع فى عيونهم بالكحل الحراق حب الوطن.

توقف النبض تماما ،غلف لون الشمع وجهها.

غاصت القرية فى صراخ وعويل غطى على صراخ القطط .

عويل القطط وصراخها قتل أجنه العصافير فى أعشاش قريتنا،قتل الأحلام .

هجت العصافير من أشجار قريتنا وعششت فى صدرى وباضت خوفا وألما وكرها شديدا لتلك القطط الغريبة المسعورة .

افتعلت عشقى للكلاب وأويت فى بيتى كلبا أجنبيا وعاهدته ليحمينى.

أخذ مقابل تلك المعاهدة معظم دخلى الشهرى.

إمرأتى استغنت بفرائة الوثير عن جسدى.

نفد البرد إلى عظامى .إ لى النخاع.

توحشت العصافير فى صدرى وفى جمجمتى تنقر فى النفوخ ،تصرخ:

- اطرد الكلاب . اطردها من قريتنا.
خرست القطط تماما . أكلت السنتها .

خرجت الفئران من جحورها ،توحشت وراحت تنهش فى الأشجار وأعشاش العصافير، حتى العلم الوحيد الذى رفعناه فوق مدرستنا أكلته.

أدهشتنى الصدمة.

الفئران تلتهم القطط فى شوارع قريتنا والكلب الأجنبى الذى جلبته وأطعمته يلعق الدم ويزمجر، يتسلق أشجار القريه يأكل العصافير ويلقى بقاياها للفئران.

حينما أفقت وفهمت غلطتى وقررت التخلص من ذلك الكلب .

دلفت إلى غرفتى لأحضر عصى أهشه بها وجدت الغرفة تشغى بالفئران التى أكلت كل شيء حتى بطاقة هويتى،

إستدرت هاربا من الفئران .

عند الباب الموصد وجدته .

جاسما فوق صدر زوجتى مكشرا عن أنيابه يزووووم...

القاهرة 1994 اكتوبر